مخطوطة أبوكريفا سفر التكوين

كانت مخطوطة أبوكريفا سفر التكوين واحدة من آواخر اللفافات التى تم فضها وقراءتها بين مخطوطات الكهف الاول وهى كما نعلم عبارة عن مجموعة قصص ملفقة وليست من الكتابات الموجودة فى الكتاب المقدس العبرى. وهى مكتوبة بالآرامية: تلك اللغة التى كان يتكلمها أهل فلسطين وقت ظهور النصرانية. وهذا السفر يتضمن قصصًا جديدة وجذابة حول حياة العديد من البطاركة فى سفر التكوين مثل: لاميس، إينوخ، ميثولاه، نوح، أبراهام، سارة.

وأسلوب هذا العمل ومحتوياته تشبه تلك الموجودة فى الأجزاء غير الشرعية، غير المعترف بها فى التلمود والمدراش – وهما تفاسير للكتابات المقدسة وعظية وأخلاقية ـ فقد كانت هناك أعداد كبيرة من المواعظ والتقاليد والأساطير والمواد الفولكلورية يتم تداولها بين أفراد الشعب اليهودى عبر ألفى سنة. وهذه جميعًا مبعثرة ومشتتة فى العمل العملاق – الذى جاء بعد الكتاب المقدس – اليهودى المعروف باسم التلمود وخاصة المدراش. هذه المواد تبدأ منذ وقت تأسيس السيناجوج، وحيث بدأ الربابنة فى إلقاء العظات فى السيناجوجات هذه وخاصة عند الصلوات وأيام السبوت والعطلات وكانت العظات تختلف وتتفاوت. وفى العظة الواحدة على سبيل المثال يقرأ القسيس أو الربابينى عدة آيات من أسفار موسى على الحشد الموجود فى السيناجوج ثم يأخذ فى شرحها وتفسيرها واحدة بعد الأخرى ولكى يشرح ويفسر لابد وأن يستخدم القصص والمرويات والأساطير والموروثات والحكم المأثورة والأقوال والأفعال. وهذه التفاسير والتعليقات الربابينية إنما كانت تقوم أساسًا على قاعدة من الفقرات الموجودة فى الكتابات المقدسة وفى الأعم الأغلب من أسفار موسى الخمسة – هذه التفاسير والتعليقات

كانت تنتقل شفاهة من جيل إلى جيل وكان يتم تداولها فى المدارس الربابينية. وبعد ذلك ومع القرن الخامس عشر الميلادى خضعت هذه المادة المستفيضة للتدوين والتسجيل والكتابة وبهذا وصلت إلينا اليوم. ولعل أهم الأعمال التى جمعت ووعت تلك المادة هو ذلك العمل المستفيض المعروف بين اليهود باسم (مدراش) كمفرد أو (مدراشيم) كجمع. ومن المؤكد أنه كان هناك تراث آخر عظيم وأساطير حول ميلاد نوح وجمال سارة وربما كان سفر أبو كريفا التكوين واحدًا من تلك الأعمال.

ومن نوافل القول أن هذه المخطوطة هى واحدة من المخطوطات السبع التى اكتشفت فى الكهف رقم ١ وكانت أسوأ تلك المخطوطات جميعًا من حيث الحفظ إذ وجدت فى حالة سيئة حيث كانت هشة وتتقصف وتستعصى على الفض والفرد؛ وكان اكتشافها سنة ١٩٤٧ وفضها وقراءتها سنة ١٩٥٦ وكانت آخر اللفافات السبع من حيث الفض والقراءة. واللفافة مكتوبة بالآرامية.

وقد فقد نصف صفحات اللفافة تقريبا من البداية والنهاية. ويبدو أن الجزء الأخير من اللفافة قد بتر فى العصور القديمة لأسباب لا نعرفها لأن النص يقف عند منتصف الجملة. وكانت اللفافة الأصلية تشتمل على اثنين وعشرين عمودًا لم يصل إلينا منها سوى أربعة أعمدة كاملة كل منها يضم أربعة وثلاثين سطرًا مكتوبة. وبالإضافة إلى هذه الأعمدة الكاملة هناك أعمدة أخرى أمكن قراءة أجزاء منها، وهناك كلمات أو سطور قابلة للقراءة فى أعمدة أخرى.

وقد أطلق على هذه اللفافة فى بداية الامر اسم (لفافة لاميس) لعدة أسباب من بينها:

١- كان أول جزء يفض من هذه اللفافة يحمل حديثًا لـ لاميس باستخدام ضمير المتكلم.

٢- أكد الباحثون أنهم عثروا على أبوكريفا سفر لاميس مذكورًا فى قائمة يونانية بأسفار الأبوكريفا.

ولكن عندما تم فض اللفافة وقرئت محتوياتها جزئيًا أدرك الباحثون أن قصة لاميس لا تمثل إلا جزءًا صغيرًا من اللفافة. وأن اللفافة تضم قصصًا أبوكريفية عن: لاميس، إينوخ، ميثوسيلاه، سارة، أبراهام. وهذه القصص تغلب على تراجم البطارقة كما وردت فى سفر التكوين مع تفاصيل زائدة وأسماء مجهولة. ولذلك قام محررا اللفافة بتسميتها (أبوكريفا سفر التكوين) وهما: ن. أفيجاد وإيجال يادين؛ ونشرا عدة أعمدةمن النص مع ترجمة إلى الإنجليزية. وبناء على الشواهد اللغوية والباليوجرافية قام هذان المحرران بتأريخ هذه الوثيقة بالقرن الأول قبل الميلاد أو بالقرن الأول الميلادى.

ويرى الثقاة أن أبوكريفا سفر التكوين هذا عبارة عن مجموعة من القصص استخدم فى كتابتها ضمير المتكلم المفرد وتدور حول حياة بعض بطارقة الكتاب المقدس. ولكل بطريق (بطريرك) قصته الخاصة التى تربو مادتها على ما جاء عنه فى سفر التكوين الأصلى. وهذا الكتاب يتوازى فى كثير من الجوانب مع أبوكريفا سفر اليوبيل وأبوكريفا سفر إينوخ.

ولمزيد من التحليل لهذا العمل نلقى ضوءًا على محتوياته من واقع ما أمكن قراءته:

١- يتضمن العمود الثانى – وهو فى حالة سليمة نسبيًا – قصة لاميس حول المولد الغريب الشاذ لنوح. من حيث شكوك لاميس حول إخلاص زوجته بات – إينوش وحيث أكد بيان بات – إينوش أن نوحًا هو ابن لاميس وليس ثمرة رابطة مع الملائكة أو أى إنسان آخر. كما يتضمن هذا العمود استشارات لاميس مع أبيه ميثوسيلاه الذى يستشير بدوره إينوخ حول الظروف الحقيقية لميلاد نوح.

٢- لم يتبق من العمود الثالث والرابع سوى كلمات قليلة جدًا لا نخرج منها بشيء مفيد.

٣- الأعمدة من الخامس – الثامن فى حالة سيئة وإن كان يبدو أنها تغطى الموجود فى سفر التكوين الفصول ٦ – ١١.

٤- العمودان التاسع عشر والعشرون تغطيان ما هو موجود فى سفر التكوين الأصلى، المفصل ويتضمنان قصص أبراهام (إبراهيم) وسارة حيث يهرب إبراهيم من المجاعة إلى هيرون ثم إلى مصر. ويحكى إبراهيم قصة حلم شجرة الأرز والنخلة وحيث فسره بنصيحة الله لسارة أن تخفى حقيقتها وهويتها فى مصر بأن تدعى أنها شقيقة إبراهيم. وفى هذه اللفافة نصادف وصفا تفصيليا لجمال سارة مما لا نجده فى سفر التكوين الأصلى. وبسبب جمالها يأخذها فرعون اسمه زون لنفسه لتصبح إحدى زوجاته ولكن الوباء يزحف على البلاد ويحتاج الفرعون وآل بيته ويمنع إتمام زواجه من سارة. ويغادر إبراهيم وسارة ولوط وهاجر مصر.

٥- فى العمود الواحد والعشرين الذى يغطى الفصل ١٣ من سفر التكوين، يصف إبراهيم كيف جاب طول البلاد وعرضها بعد أن عثر على بيت - إلى، وهو يعدد لنا الأسماء والأماكن التى مر بها. وهذه الأسماء التى وردت فى كتاب اليوبيل ولكنها تضيف بعض التفاصيل والمعلومات الجديدة. ولقد سجلت هنا أيضًا تفاصيل حرب الملوك الأربعة ضد الملوك الخمسة فى سودوم و جوموراه على نحو ما جاءت أيضًا فى سفر التكوين. والصيغة التى جاءت فى هذا الفصل من المخطوطة التى بين أيدينا تزيد وتثرى معلوماتنا حول أسماء الأماكن وبعضها لم يكن معروفا لنا حتى الآن. والجزء الثانى من هذا الفصل والخاص بأسر لوط طبق الاصل مع ما جاء فى سفر التكوين فيما عدا بعض التفاصيل الطبوغرافية القليلة.

٦- العمود الثانى والعشرون يتناول تحرير لوط من الأسر من أيدى أهل سودوم، كما يتناول مقابلة ملك سودوم مع إبراهيم وهو ما يتمشى فى خطوطه العامة مع ما ورد فى سفر التكوين. ويرى الثقاة أن بقية هذا العمود يأتى من الفصل الخامس عشر من سفر التكوين وحالته سليمة نسبيًا وجزئيًا. وفى هذا الجزء من العمود يسأل إبراهيم ربه أن يعطيه ولدًا وريثًا. وربما يتضمن الجزء المفقود والذى لم يكتشف بعد الفصول الباقية من سفر التكوين ابتداءً من الفصل الخامس عشر فصاعدًا.

ويرى الباحثون الثقاة أن من بين وجوه قيمة وأهمية هذه المخطوطة:-

١- هذه المخطوطة هى الوحيدة من المخطوطات السبع الأصلية المكتوبة بالآرامية.

٢- ولقد حفظت هذه المخطوطة النصوص العبرية المعاصرة (القرن الثانى قبل الميلاد – القرن الثانى بعد الميلاد) مما يزيد من فهمنا ومعرفتنا بهذه اللغة.

٣- تتضمن هذه المخطوطة معلومات طبوغرافية جديدة عن فلسطين وهى ذات أهمية خاصة لدارسى الكتاب المقدس.

٤- من المؤكد أن لهذه المخطوطة تأثيرات خاصة على معلومات وتراث التلمود والمدراش.

* * *